

رصد لعلوم وعلماء حواضر الزاب بالمغرب الأوسط

(ق03هـ-12هـ-09م-18م.دراسة كمية تحليلية)

Surveillance of scientists and scholars in the Ziban cities of the " central Maghreb (3th-12th AH) - (09th-18th) A study of quantitative "analysis

أ.د. جمال عناق

djamel.annak@univ-tebessa.dz

تاريخ الاستلام: 2024/10/24 تاريخ القبول: 2024/11/28 تاريخ النشر: 2025/03/10

-الملخص:

حواضر الزاب في مجاله الواسع شهدت تطورا هاما في مجال العلوم والبحث العلمي عبر العصور. تهدف هذه الدراسة إلى فهم هذا التطور من خلال تحليل كمي للعلوم وإحصاء نخبة العلماء الذين برزوا واشتهروا أو زاروا وخرجوا من المنطقة، مع رصد وتحليل التطورات في مجال العلوم النقلية والعقلية في تلك الحقبة وتطورها عبر الزمن. تستند الدراسة إلى منهجية علمية دقيقة، حيث تقوم على جمع البيانات من مختلف المصادر التراثية ومن ثمة تحليلها بهدف تحديد الاتجاهات والنماذج الرئيسية في مجال التصنيف والبحث العلمي الذي عرفه إقليم زاب المغرب الأوسط، وتحليل العوامل التي أثرت على إزدهار العلوم ونجاح العلماء. من المتوقع أن تقدم الدراسة إسهامات هامة لفهم التطورات العلمية والبحثية في حواضر الزاب، و أن تسهم نتائج هذه الدراسة في إثراء المعرفة حول التراث العلمي الزاخر لعلماء اقليم الزيبان، وتوجيه الجهود المستقبلية لتعزيز البحث العلمي في المنطقة.

كلمات مفتاحية: الزاب-إحصاء-علماء-علوم-كمي

Abstract:

This intervention aims to conduct a quantitative analysis study of sciences and scholars in the Ziban region. The study aims to monitor and analyze developments in physical and intellectual sciences in that era and their evolution over time. Additionally, the research delves into studying the trajectories of scholars and researchers in Ziban, including their research and scientific activities and their local, regional, and even Arab world-wide contributions. The research relies on a quantitative analytical methodology for data collection and analysis, aiding in understanding the trends, patterns, and changes in the field of sciences and scholars in the Ziban city. The results of this study are expected to enrich knowledge about the rich scientific heritage of scholars in the Ziban region.

Keywords: al-Zāb-Ziban, Statistics, Scholars, Sciences, Quantitative.

-مقدمة:

تعرف الدراسات التراثية والحضارية المرتبط موضوعها بتاريخ الحواضر، اهتماما كبيرا ومتزايدا بسبب استخدام مصادر ومناهج ومقاربات منهجية متنوعة ساهمت، ومازالت تساهم في حلحلة اشكالات تاريخية كثيرة تخص المدينة والحاضرة في فترتها الوسيطة والحديثة، ولعلنا من خلال مقترح مداخلتنا هذه نحاول أن نرصد فيها علوم وعلماء الزاب في اتساعه وتقلصه وفق معطيات رقمية رصدتها لنا مختلف الكتابات العربية منذ القرن الثالث الهجري الذي يعتبر فيه الأستاذ الكعاك العصر الذهبي لإيناع العلوم بالجزائر .

-الأهداف:يهدف مقترح هذه المداخلة إلى:

- -رصد التطورات العلمية والبحثية في حواضر الزاب .
 - -تحليل مسارات العلماء والباحثين في المنطقة لفهم نمط النشاط العلمي.
 - -تحديد الاتجاهات الرئيسية للبحث العلمي في زاب المغرب الأوسط.
 - -استكشاف العوامل التي تؤثر على نشاط البحث العلمي في المنطقة
- الفرضيات: تتحدد فرضيات المداخلة في:

- -يوجد تطور ملحوظ في مجال العلوم والبحث العلمي في حاضرة الزيبان.
- -هناك حقول واتجاهات علمية يتسم بها مجال الدراسة بشكل خاص.
- -إن ازدهار المعارف وكثرة طلاب العلم كان الفضل فيه يعود الى فعالية هؤلاء العلماء
- -إمكانية تأسيس مشروع علمي يحذو حذو مجاميع علمية سابقة يكون إطارا فاعلا لنهضة الأمة الجزائرية.

-الأهمية:تبرز أهمية هذه المداخلة في فهم ديناميكيات التطور العلمي في حاضرة الزيبان، وكذلك تحليل تأثير هذا التطور على المجتمع المحلي والإقليميوحتى العربي. وسيمكننا هذا العمل من معرفة أسباب و أهمية نجاح مثل هذه الأفكار وهذه التجارب العلمية الناجحة، والرائدة و إسقاطها على واقعنا بإنشاء مثلا مؤسسة ومنصة علمية تجمع الخبراء والعلماء العرب، لإعلان انطلاقة جديدة للنهوض بحاضر هذه الأمة بالاعتماد على ماضيها نحو مستقبل مشرق.

-مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تحدد مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي:

✓ -كيف يمكن النهوض بحواضر الزاب بعد تحليل ورصد

للتطورات في مجال مختلف العلوم والبحث العلمي في هذه

الحواضر؟.

-الأسئلة الفرعية:

✓ ما هي الاتجاهات العامة للبحث العلمي في حواضر الزاب:

✓ ما هي أهم العلوم المنتشرة في حواضر الزاب؟

✓ ما هي مسارات العلماء والباحثين في هذه الحواضر، وما هي

مساهماتهم البحثية والعلمية؟

✓ هل يمكننا إحصاء وتعداد علماء بلاد الزاب بالإعتماد على ما

ذكرته المصادر والكتابات العربية؟.

-المنهجية: تم تنفيذ المداخلة باستخدام منهجية تحليلية كمية تقوم على جمع

بيانات ذات طبيعة كمية وتحليلها بشكل إحصائي للوصول إلى النتائج المطلوبة.

النتيجة المرجوة من هذا المقترح: سيساهم هذا البحث في توجيه الجهود

القادمة في دعم وتطوير البحث العلمي والعلوم في حاضرة الزيبان، مما يساهم

في تعزيز التنمية المستدامة في المنطقة.

مقدمة:

تعرف الدراسات التراثية والحضارية المرتبط موضوعها بتاريخ الحواضر، اهتماما

كبيرا ومتزايدا بسبب استخدام مصادر ومناهج ومقاربات منهجية متنوعة

ساهمت، وما زالت تساهم في حلحلة اشكالات تاريخية كثيرة تخص المدينة والحاضرة في فترتها الوسيطة والحديثة، ولعل من بين اهم الإشكالات التي تحتاج الى اجابة-بالرغم من قلة الكتابة المصدرية والمرجعية وعمومياتها-في هذا الجانب هو: التداخل والتباين الديمغرافي بين مُهجرين من بلدهم الأصلي نحو مجال ومجتمع جديد، وكيف ستأثر هذه الهجرة بالايجاب وحتى بالسلب على كلا الطرفين؟ هي علاقة اذن بين تيار سالب وتيار موجب او العكس..كظاهرة عرفتها المجتمعات منذ القدم..وفي حالتنا هذه سننظر الى الظاهرة ذات البعد الاجتماعي من خلفية دينية عقدية، من حيث السبب العام الدافع للهجرة (حروب الاسترداد) والنتيجة التي تجعل هؤلاء يسهل اندماجهم في المجال الجديد..وان كنا سنركز على فترة بداية القرن 16م بالرغم إننا نعلم ان بداية ظاهرة الهجرة بين العدوتين الأندلسية والمغربية قد استمرت قبل هذا القرن، لكن تركيزنا على مدينة دلس وماجاورها سيجعلنا نركز على اخبار أوائل الوافدين الاندلسيين الذين وطئت أقدامهم دلس وما جاورها الى اخر مهاجر حسب ما وفرته لنا المصادر والمراجع على قلمها...

أولا-المدلول اللغوي والإطار الجغرافي للزاب :

1-المدلول اللغوي لمصطلح الزاب :

من الناحية اللغوية تندرج مجموعة من التعاريف عن علماء وأهل اللغة منها ما ورد عناللغوي "ابن منظور" لما قال أن " زاب" من أزب ويزأب وازدأب القُرْبَة أي حملها وأقبل بها مسرعا، أما الإزدآب هو كل ما جمل قدر الإحتمال، ويقال أيضا زأب الرجل أي شرب شربا سريعا والزبية هي المنطقة والرابية التي لا يعلوها الماء، وهي أيضا الحفرة التي يختبئ فيها الرجل للصيد، كما تحفر للذئب لاصطياده، أما الزابيان فهما نهران بسافلة الفرات، ويقال أيضا زبى الإبل أي ساقها) الفضل(. واذا

جمعنا كل هذه المعاني التي أخذت معاني الماء والسرعة والعلو فإنه يمكن نستنتج بأن الزاب هو المكان المرتفع الذي يسيل منه الماء بسرعة وقد يكون ربوة.

2-الإطار الجغرافي لبلاد الزاب :

اختلف المحققين في معنى لفظة الزاب والتي جمعها زيبان حيث يخبرنا "M.J.Maguelonne" في كتابه تاريخ وجغرافية منطقة الزاب انها قد تعني الواحة، وأن كلمة الزاب قديمة وربما وجدت قبل الاحتلال الروماني، وربما يكون هو الاسم الذي أعطي في البداية للمنطقة الموريتانية السطايفية، وبحسب المؤرخ اليوناني "Procopé" فإن المنطقة في القديم تشمل معنى أوسع إذ تشمل الحضنة والتي كان يقع في شمالها مدن: زابي التي كانت مقر أسقفية في ق.05م، ومن الممكن أن اسم الزاب قد أخذه منها (M), p. 221). وفي دراسة للقائد العسكري "Ragot" لصحراء قسنطينة يخبرنا عن مناطق الجيتول التي هي نفسها المناطق التي تحد في الجنوب نوميديا الرومانية (Ragot.(m), pp. 91,141)، ويتوسع معنى لفظ الزاب ليشمل بالإضافة إلى منطقة بسكرة مرتفعات الأوراس والجريد شرقا وحده الغربي هو مجرى نهر الشلف، وهذا منذ أيام الرومان.

أما لفظ التسمية عند المؤرخين العرب المسلمين فكلمة الزاب تشمل مناطق أوسع في القرون الهجرية الأولى قبل التغريبة الهلالية التي غيرت معالم إفريقية والمغرب تغييرا تاما. وعرف عند المؤرخين العرب بزاب إفريقية ليفرقوا به عن زاب العراق يطلق إطلاقا واسعا حتى يشمل سهول الحضنة ومدنها الواقعة في سفوح الأطلس الجنوبية، وهي: المسيلة ومقرة وطبنة ولذلك اتسع مدلول الزاب عند مؤرخي ذلك العصر. (وآخرون، 1933) p. 321 , ولعل أشهر هؤلاء المؤرخين والرحالة الجغرافيين العرب الذين زاروا الزاب وعرفوه أيام الأغالبة هو "اليعقوبي

ت 284هـ/897م "عنده "بلاد واسعة تتضمن مدنا وأقاليم شتى) مؤنس، 1992، p. 199) وقاعدتها طبنة وهي التي ينزلها الولاية، وبها أخلاط من قريش والعرب والجند والعجم والأفارقة والروم والبربر" و يذكر مدائن الزاب: باغاية، تيجس ميله، سطيف، بلزمة نقاوس، مقرة طبنة، اربة أو اربة وهي زابي. (مؤنس، 1992، pp. 206,207) "ZABI" ومنه جاءت التسمية العربية للإقليم كله كما ذكرنا، وكذلك نجد ما قاله اليعقوبي يؤكد ابن حوقل الذي زار المغرب قبل التغريبة الهلالية حيث كان الزاب بهذا الاتساع.

وفي معجم البلدان لياقوت الحموي " قال السلفي، سمعت الأصم الميورقي يقول: الزاب الكبير من بسكرة وتوزر وقسنطينة وطولقة وقفصة ونفزاوة وبادس ثم قال والزاب أيضا كورة صغيرة يقال لها رينغ كلمة بربرية معناها السبخة فمن كان منها يقال له الريغي: والزاب أيضا كورة عظيمة ونهر جرار بأرض المغرب على البر الأعظم عليه بلاد واسعة وقرى متواطنة بين تلمسان وسجلماسة والنهر مسلط عليها" (الحموي، 1995، p. 124)، أما الذين ذكروا إقليم الزاب وزاروه بعد التغريبة الهلالية حيث تقلص حدوده، منهم، البكري (البكري، 2003) (الذي يجعل مدينة طبنة من مدن الزاب وعاصمته، وكذلك الإدريسي) (الإدريسي، 1989، p. 263)، وابن سعيد المغربي وصاحب الاستبصار الذي يتحدث عن بلاد الزاب بقوله: " وهي على طرف الصحراء، في سمت بلاد الجريد وهي مثلها في حر هوائها وكثرة نخلها وهي مدن كثيرة وأنظار واسعة وعمائر متصلة، فيها المياه السائحة والأنهار والعيون الكثيرة " (المغربي، 1970، pp. 126,127)، ثم يذكر بعض أهم المدن كمدينة المسيلة ونقاوس وطبنة وبسكرة وتهودة وبادس.

لكن الزاب في عهد ابن خلدون في ق.8هـ/14م والحسن الوزان في ق.10هـ/16قد تقلصت ويجعلان قاعدته بسكرة. ونأخذ مقتطف مما ذكره ابن خلدون "هذا البلد بسكرة هو قاعدة وطن الزاب لهذا العهد وحده من لدن قصر الدوسن بالغرب إلى قصور تنومة وبادس في الشرق يفصل بينه وبين البسيط الذي يسمونه الحضنة جبل جاثم من المغرب إلى المشرق.... وهذا الزاب وطن كبير اشتمل على قرى متعددة متجاورة جمعا جمعا يعرف كل واحد منها بالزاب وأولها زاب الدوسن ثم زاب طولقة ثم زاب مليلة- أو مليلي- وزاب بسكرة وزاب تهودة وزاب بادس وبسكرة أم هذه القرى كلها" (المصطفى) (1999, p. 423),

أما الحسن الوزان فقد وصفه بمايلي: " يقع هذا الإقليم في وسط مفايزات نوميديا، ويبتدئ غربا من تخوم مسيلة، ويحده شمالا جبال مملكة بجاية ويمتد شرقا إلى بلاد الجريد التي توافق مملكة تونس، وجنوبا إلى القفار التي تقطعها الطريق المؤدية من تقرت إلى ورقلة..... يشمل الإقليم خمس مدن وعددا كثيرا من القرى " ثم يصف مدن الزاب حسب ترتيبها: بسكرة، البرج، نفطة (حسن، 1999, pp. 288,293، طولقة، دوسن) حسن، 1999).

ويبدو أن سبب هذا الإمتداد لإقليم الزاب قبل مجيء الفاطميين والهلاليين ق11م والتقلص في حدود الإقليم فيما بعد يعود إلى انقسام المغرب الإسلامي ككل إلى كتل سياسية والمتغيرات الإدارية والاجتماعية والاقتصادية التي ساهمت وتساهم في ازدهار المدن أو اندثارها ولعل مجيء بني هلال كان أحد أهم العوامل الاقتصادية والاجتماعية ومن ثم الإدارية في تقلص هذا الإقليم هذا من جهة ومن جهة أخرى يتضح أن الزاب قد عرف في هذين المرحلتين قاعدتين فمن

حيث الامتداد كانت قاعدته الأولى طبنة، أما في مرحلة التقلص في الإقليم فقد أصبحت قاعدته بسكرة.

ثانياً:-معالم البيئة التي شهدت نشاط الحركة العلمية في زاب المغرب الأوسط:

1- الحالة التاريخية والسياسية لحواضر ومدن الزاب منذ ق03هـ:

لقد أصبحت بلاد المغرب في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري بمثابة فسيفساء من المجموعات السياسية والعقدية من إباضية وصفرية وواصلية ومعتزلة وزيدية، وفي خضم هذا التشتت المذهبي والسياسي وصلت إلى القيروان وبلاد الزاب وشهدت أفكار المذاهب الفقهية المقربة من نظام الحكم السني وهذا عن طريق الشخصيات المشرقية التي وردت إلى بلاد المغرب وبواسطة رحلات طلب العلم والحج. فانتشرت الكتابات واتسعت حلقات الدراسة في المساجد، وقد ساعد على هذا النشاط اهتمام الخلافة بأفريقية، وانتقال العرب إليها بأعداد هائلة، وانتشار الأمن والرخاء، فتجلى بتشجيع الأساتذة والطلبة على تدارس مختلف العلوم. (يوسف، 1984) (109-110 pp, المرتبطة بالفقه وعلومه خاصة فقه المذاهب.

ويعتبر المذهب الحنفي السباق من الناحية الزمنية، وهو ما أشار إليه القاضي عياض (ت 544 هـ- 1150 م) في كتابه ترتيب المدارك، لقد انتشرت الأفكار الحنفية في الفقه بالقيروان وبوحدات بسكرة ببلاد الزاب، لكن النخب المشكلة بهذه المجموعة الفقهية التي عاشت في ظل دولة الاغالبية الأحناف سرعان ما تنكرت لمذهب العراق، ولفكرة دولتهم التي سقطت في يد الاسماعيليين الشيعة، واعتنقت مذهب الدولة الجديدة وهي الخلافة الفاطمية الاسماعيلية.

لقد انهار البناء الفقهي الحنفي ولم يبق من أوفياء له في نهاية القرن الخامس الهجري إلا أهل تهودا ببسكرة، و لم يكن المذهب الحنفي لوحده من واجه الجماعات السياسية والعقائدية المعارضة بالزاب والمغرب الأوسط بل تسلل إلى هذا الأخير العديد من الأفكار، التي أدت إلى تشكيل مجموعات عقدية تركت بصماتها في التاريخ، وتعتبر الواصلية والمعتزلة من بين هذه التيارات التي وجدت ظلها تجمعات السكانيين المجاوره. ومن جهة أخرى فقد ساهمت الهزيمة العسكرية للاباضية في مواجهة الجيوش الفاطمية في تحول الكثير من المجتمعات القبلية، نحو مذهب إمام دار الهجرة، وأصبح مغرب نهاية القرن الرابع عشر الهجري في معظمه مالكية، كما تدل على ذلك شهادة الرحالة المقدسي (توفي بعد 377 ميلاديه 982 ميلادية). لقد أعطت النشاطات وتآليف فقهاء المالكية الديناميكية الأساسية لحمل نظام الحكم الصنهاجي على إحداث قطيعة سياسية ومذهبية مع القاهرة الاسماعيلية سنة 443 هجريه 1050 ميلادية) علاوة، 2008 (p. 129) ..

تمثل فتره بناء قلعة بني حماد زمن الإستقرار النهائي للمذهب المالكي في معظم مدن الزاب، و المغرب الأوسط نتيجة الارادة السياسية للسلطة الحمادية من جهة ومجهودات فقهاء المالكية، وحدث خلال هذه الفترة تقارب بين السلطة السياسية والعسكرية الممثلة بالعائلة الحمادية وسلطة الفقهاء من خلال توظيف الكثير منهم في الوظائف القضائية فبعد الانتشار في شمال المغرب الأوسط واصلت المالكية اكتساحها لمعقل جماعات الاباضية حيث نجحت تدريجيا في ضم الكثير من القبائل الإباضية الى صفوفها في بلاد الزاب وقصطيلية وورجلان، وخير دليل على ذلك إعتناق سكان مدينة الحامة ببلاد الجريد القريبة من إقليم الزاب جماعيا للمذهب المالكي بعدما كانوا اباضية نكارية ولم ينجح

اتباع مذهب جابر بن زيد إلا في الحفاظ على جزء صغير من نفوذهم بورجلان ووادي سوف وخصوصا ببلاد ميزاب.

2- الحالة العلمية من خلال إنشاء المدارس والمؤسسات لعلمية المتخصصة:

لا يختلف اثنان أن الدور الذي لعبته بيت الحكمة ببغداد الذي يعتبر كأول مؤسسة أكاديمية إسلامية كرّس الفعل المعرفي من خلال انتشار دور العلم، ومراكز المعلومات ليس فقط في بغداد التي عرفت إضافة إلى دار الحكمة إنشاء ثلاث مكتبات أخرى، بل تعداه في القرون اللاحقة إلى إنشاء العديد من هذه المؤسسات التي نعتبرها تفرعات علمية لهذه الدار كالقيروان في عهد الأغالبة وقرطبة وبجاية وفاس ومراكش، وطليطلة واشبيلية وغرناطة.. وقد كانت طرق الحج الأداة والسبب في الربط بين أطراف هذه المدن، وملتقى الكثير من أهل العلم والمعرفة وأصبح هذا الوضع كما يصفه سارتون "ضرباً من فضول المعرفة" (جورج p. 163), وعاملاً مهماً في تلاقح الأفكار بين مختلف العلماء، وسبباً في النهضة العلمية لعديد مدن الدولة ومضاهاة لمدينة بغداد.

وهنا يجب أن نشير إلى أن الإستقرار الحضاري لأي أمة هو مرتبط بالأساس بالاستمرارية والتواصل العلمي لمختلف المراكز العلمية، ولن يتأسس وأن يتطور هذا العلم دون أن تكون هذه المؤسسات الخاصة به قد أنشأت في أول الأمر. وبذلك فإن المراكز ودور العلم التي ذكرناها نعتبرها النواة الأولى لمختلف العطاءات الحضارية التي عرفتها الأمة العربية والإسلامية لاحقاً وقدمتها للإنسانية بمستوى راقٍ وأخلاقي ميزها بهذه الصفة عن كل الحضارات السابقة واللاحقة.

و مع ذلك ورغم الكبوات التي عرفتها الأمة الإسلامية لاحقاً، وضمور وتقلص البحث العلمي في القرون التي تلت سقوط بغداد على يد المغول سنة 1258 م،

فقد جرت محاولات السير على منوال المجاميع العلمية السالفة الذكر وقد حاول الأتراك النهوض من جديد بالأمة الإسلامية بعد أن استلموا وديعة الخلافة الإسلامية في ظل دمار وضياح إرث حضاري كبير كنتيجة للغزو المغولي والصليبي، ومع ذلك فقد بقيت شرايين الحياة تنبض دائما كقدر لهذه الأمة أن لا تموت أبدا، وتفتق عنها قامات كبيرة كابن خلدون و ابن الخطيب.....الى أن ظهرت بعض محاولات النهضة العربية مثلتها شخصيات رائدة بإنشاء مكتبات وقفها بعض سلاطين آل عثمان و أبنائهم وفريق من الوزراء و أنصار العلم للفائدة العمومية فكانت المخطوطات في تلك المكتبات وسيلة ليتعرف علماء الأتراك على حضارة العرب ويقفوا على محاسن اللغة العربية ومختلف خطوطها بل نافسوا العرب في إجادة الخط وبرعوا في هذه الصناعة وانتهت إليهم الرئاسة في الخط العربي على أشكاله المختلفة. ولعل من أشهر المكتبات التركية نذكر مكتبة علي أميري التي احتوت على 20 ألف مخطوط ونذكر أيضا مكتبة الجامعة والمكتبة العمومية ومكتبة الفاتح ونور عثمانية التي احتوت جميعها على 33 ألف مخطوط.

ثالثا: أعلام وعلوم إقليم الزاب وإنتاجهم المعرفي المدون:

1-مظاهر الوسط العلمي بإقليم الزاب:

ليس من السهل دراسة وسط علمي في عالم من الفقهاء وفي عصر وبلاد غلب عليها الطابع الريفي فقد كان للمشافهة دور كبير في توعية الناس، ونقل المعارف ولم يكن للكتاب والكتابة نفس المكانة التي إكتسبها خلال العصر العباسي الأول، ولهذا فإنه ليس بالضرورة كل من أنتسب لمجموعات فكرية أو ثقافية لديه مؤلفات وتصانيف فالمعطيات التاريخية التي رصدناها تؤكد ذلك فهناك اعتبارات عدة مثل قلة المادة الخبرية واعتمادها بشكل شبه كلي على إنتاج أدبي

موجه في اغلب الأحيان، فالإنتاج التاريخي المقرب من دواليب السلطة يجسد الانفصام الذي حدث بينها وبين القيادات الفكرية، ولهذا فإن سلطة الأمير ومجتمع البلاط هو الذي حظي باهتمام كتاب التاريخ، وهذا من أجل إعطاء شرعية نظام حكم قائم على الغلبة والقهر لمواجهة هذا التوجه المقصي للقيادات الفكرية المنادية بالحفاظ على الدور التاريخي للمجتمع الاسلامي، لذا فإن عدد من المؤلفين لجأوا الى تدوين تاريخ هذه القيادات في كتب تراجم وطبقات تعبر عن بناء ذاكرة جماعية، والتي لم تسلم هي كذلك من التوجهات المذهبية ومن عدم التواصل. إضافة إلى هؤلاء فإنه بالإمكان إستغلال عدد مهم من كتب الفهارس والبرامج وكذلك المؤلفات الأصلية بمعنى الإنتاج الفعلي لمجموعات العلماء.

لقد أجريت عدة تصانيف للعلوم والعلماء تنوعت باختلاف المجموعات الاجتماعية والمراحل التاريخية سوف نقتصر على الإشارة للمكانة التي أعطيت للعلماء في أدب المجموعة الفكرية المنطوية تحت لواء إخوان الصفا، وفي الأدب السلطاني المعروف عادة بمرآة الملوك في كتابات إخوان الصفا وخلان الوفاء فقد نجد أن طبقة العلماء تحتل المرتبة الرابعة في سلم الطبقات الاجتماعية للخاصة بعد السلطان والإشراف وكبار التجار وهي نفس المرتبة التي نجد ذكرها في كتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك للأمير الزياتي ابي حمو موسى الثاني. لقد أدى فشل النخب الفكرية في تكوين كيانات سياسية قوية إلى إضعاف مكانتهم الاجتماعية مقارنة مع قوة السلطة السياسية لكن هذا لم يمنع القيادات الفكرية من التموقع مع خاصة المجتمع والوصول الى لعب دور الجاه بالمفهوم الخلدوني.

02:- أهم الأعلام التي أنتجتهم حواضر الزاب:

إن أعلام الفكر والثقافة لهذه الرقعة الذي يعتبر فيها إقليم الزاب واحدا من أبرز الأقاليم ذات الثراء الذي أنتج أعلاما أفذاذا وأدوا دورا رائدا في إثراء مظاهر الحضارة العربية، والاسلامية بمفهومها الواسع، وقدموا مجهودات متنوعة في الأدب والتاريخ والفقه، والدين ، وغيرها، إستيعابا، وتديسا، وتأليفا، بل كان لبعضهم دورا بارزا حتى خارج الزاب بالأندلس، وصقلية، والمشرق، وحتى بنيسابور في بلاد فارس مثل الشيخ أبو القاسم يوسف البسكري (بوعزيز 28 p. ,).

لقد كان لتنقل العلماء وهجرتهم كظاهرة بارزة في عالم الإسلام الوسيط -وعلماء الزاب لم يخرجوا عن هذه القاعدة- وهذا ما تؤكد لنا أهم المراجع حيث تحتل ال المرتبة الأولى من حيث الأماكن التي نسب إليها العلماء المشار إليها ب: 45 شخصية علمية، تعتبر مدينة القلعة اهم مدن الزاب المشار إليها من حيث حركية ونشاط علماء الزاب، فهناك بعض الشخصيات التي استقرت بالأندلس كعبد الملك بن زيادة الله بن أبي مضر بن علي السعدي التميمي المعروف بأبي مروان الطبري، ومن الشخصيات التي ظهرت بالأندلس من أجل الدراسة نجد موسى بن حجاج بن أبي بكر الأشيري الذي أصبح بعد عودته إمام الجامع الأعظم بالمغرب الأوسط. كما أن جهة المشرق هي الأخرى كانت قبلة للعلماء في العهد الحمادي.

لقد تم رصد 11 رحلة من أجل الحج، وكذلك لطلب العلم خصوصا في بغداد وحلب ودمشق ومن أمثلتنا على ذلك يوسف بن علي بن جبار بن محمد بن عقيل بن سواده المقرئ البسكري، والذي درس بدمشق وبغداد وسافر الى بلاد الأتراك، أيضا علي الضرير المقرئ الذي أصبح معلما للقرآن بالجامع الأعظم بحلب. وإذا كانت بلاد الشام والعراق قد استقبلت الكثير من طلاب وعلماء الزاب والمغرب

الأوسط فان مدن مصر كالقاهرة والاسكندرية بالمقابل لم تحظ بزيارات علمية واسعة على أقل تقدير حتى نهاية القرن 04هـ نهاية زمن النفوذ الفاطمي المسيطر على الحياه الفكرية خصوصا عن طريق جامع الأزهر بالقاهرة. ويبدو أن هذا المشكل إنتهى بانتهاء الفكر الإسماعيلي لتصبح مصر أحد مقاصد الطلبة والعلماء المغاربة مثل العلامة ابن خلدون الذي درس بمدارسها ودفن بها.

لقد تنوعت فترات حياة هؤلاء العلماء بين القرن الثالث الهجري (القرن التاسع الميلادي) والقرن الحادي عشر الهجري (القرن السابع عشر الميلادي)، وأماكن نشأة وتواجد هؤلاء العلماء في مختلف أنحاء الزاب، مع تركيز ملحوظ على مدن مثل قلعة بني حماد والمسيلة، بسكرة، وطبنة، وطولقة وبالتأكيد فإن لقلعة بني حماد والمسيلة وبسكرة دورا هاما في تطور العلوم والمعارف، وازدهار الدراسات الدينية والأدبية ابتداء من القرن الخامس الهجري (11م) بالرغم أن حاضرة طبنة التي كانت عاصمة الزاب يوما ما، وعاشت عصرها الذهبي ما بين سنة (154هـ-293هـ) إلا أنها فقدت هذا الزخم بعد نهاية القرن الثالث الهجري، لتأخذ مكانتها الحواضر الأنفة الذكر في إقليم الزاب التي استقطبت رجال الفكر والثقافة من مختلف الأقاليم البعيدة والقريبة فزاروها وأقاموا بها، وأخذوا من علمائها ومفكرها وتزودوا من علومهم ومعارفهم. لقد ترك بعض العلماء المذكورين بصمة واضحة في مجالاتهم، حيث ألفوا كتباً مرجعية اعتمدها العلماء من بعدهم، كما ساهموا في تأسيس مدارس علمية ونشر المعرفة.

رابعاً:- احصاء أهم العلوم والعلماء الذين أنتجتهم حواضر منطقة الزاب:

من خلال قراءه مختلف المصادر التاريخية والبيوغرافية التي تخص الفتره الوسيطة تحصلنا على قائمه تتكون من 45 شخصية علمية من أجناس مختلفة كان العرب في الطليعة، ويعود السبب ارتفاع عدد العلماء العرب في بلاد بربرية

كما يرى الباحث عمارة علاوة (طالع الجدول 02) إلى ثلاث عوامل رئيسية وهي بناء مدينة المسيلة التي استقطبت عددا لا بأس به من الأسر العربية، واستقرار العناصر العربية خصوصا أصحاب البيوتات الشهيرة بالمدن الساحلية وخصوصا بجاية وبونة والجزائر وأخيرا التفاعل الإيجابي مع الإسلام كدين وثقافة من طرف المجتمعات القبلية البربرية

العناصر الاجتماعي ة	العرب ب	البربر	الأفارقة	الروم	الفرس	غير معروف ين	المجموع
عدد العلماء	119	48	01	01	01	64	234 عالمًا

جدول 02: الأصول الإثنية عمارة علاوة،ص104

وكما نرى فإن الذي يطالع اليوم مختلف المصادر يجد أن ذخائر هذه العلوم اشتهرت بها بالخصوص مدن قلعة بني حماد والمسيلة وبسكرة التي ستشهد منها عملية النضج والازدهار الحضاري ابتداءا من القرن 04هـ/10م وبذلك سأختار عند احصائي لهذه العلوم كل من علوم الفقه والتاريخ واللغة والحديث باعتمادنا على اهم المصادر والمراجع التي أحصتها...، ولا أريد في هذه الورقة التعليق كثيرا بل سأترك الأرقام والمؤشرات البيانية المحصل عليها تتكلم إدراكا منا بأهمية استخدام المنهج الكمي والإحصائي في دراسة تراثنا الحضاري. وسنكتفي فقط بتعداد هذه العلوم الرائجة في ذلك الوقت، وبذلك سيكون هدفنا اعطاء القارئ فكرة عن مختلف العلوم وعلمائها المشهورين وأهم مصنفاتهم ومجالاتهم (جدول رقم:02) لكي تعيننا على معرفة وتحليل الأحوال والأوضاع التي كانت عليها الحركة

العلمية، وأهمية التواصل العلمي بين العلماء عبر حقب وأزمنة مختلفة من خلال انتاج هذا الكم

الهائل من مختلف المعارف والعلوم التي أنتجتها دور الحكمة والمؤسسات العلمية بشكل مباشر أو غيره طوال قرون. (جدول 03).

التخصصات العلمية	الأدب	التاريخ والسياسة	الالفقه	الحدوث	اللغة والنحو وال شعر	علم الكلام	التصوف	الطب والرياضيات	المجموع
عدد العلماء	04	07	20	05	15	02	02	03	53

جدول 03.

وللعلم فإن إحصاء العلوم والعلماء ليست بالعملية السهلة خاصة في عملية التفريق بين العلماء الذين هم من أصول عربية، أو هم من أصول أجنبية كما سلف الذكر، لأن المصادر والمراجع قد أغفلت في كثير من الأحيان هذا الجانب بسبب أن أغلب العلماء المسلمين هم في حركية دائمة غير مستقرة في مكان واحد لذلك فقد ينسب واحد منهم إلى مدينة ما وهو في الأصل لم يولد وينشأ فيها وهي ظاهرة معروفة في القرون الوسطى، لذا فقد تتبعت وفرقت بين العلماء حسب كنههم وأصالة اسمائهم وانتماءاتهم القبلية والمكانية.

والذي يطالع هذه الإحصائيات يظهر بجلاء تفوق تخصص كل من الفقه وعلوم اللغة والتاريخ وهما متقاربين ليأتي في المرتبة الثالثة تخصص التاريخ بـ 07 علماء. نظرا كما قلت سابقا للحاجة الماسة لهذه التخصصات في الحياة الخاصة والعامة للمسلمين فمن خلال (جدول رقم: 03 والشكل البياني 01) يظهر أن هذه المرحلة أنجبت فطاحل العلماء المسلمين من حواضر مختلفة وخاصة مدينة القلعة و المسيلة و بسكرة (الجدول 04 والشكل البياني 02) نظرا لتقاليدها العلمية الموروثة منذ قرون فاحتلت الصدارة في تكوين وتوجيهها للطلبة والعلماء في مختلف التخصصات لمدة لا تقل عن الأربعة قرون الأولى الهجرية في ظل دولة بني حماد خاصة وظلت نظرياتهم وعلومهم بما حققته من أصالة وإبداع تدرس شرقا وغربا لعدة قرون يكفي أن نذكر هنا كل أبو الحسن ابن رشيق، و أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي وغيرهم كثير...

خلاصة البحث :

أظهرت الدراسة أن حواضر منطقة الزاب شهدت نهضة علمية وثقافية هائلة خلال العصر الوسيط، حيث أنتجت العديد من العلماء المتميزين في مختلف المجالات. وقد ساهمت هذه النخبة بالإضافة إلى العديد من العوامل في ازدهار هذه الحركة العلمية، خاصة وأن حواضر منطقة الزاب أصبحت من أهم مراكز العلم والثقافة في العالم الإسلامي وهذا راجع بالأساس إلى:

- البيئة السياسية المستقرة: تمتع إقليم الزاب باستقرار سياسي نسبي خلال العصور الوسطى، مما سمح للعلماء بالتركيز على البحث العلمي دون قيود.

- الدعم المادي والمعنوي: حظيت الحركة العلمية بدعم مادي ومعنوي من قبل الحكام والأعيان، مما ساهم في تأسيس المدارس والمكتبات ودعم العلماء.
- التواصل مع مراكز علمية أخرى: تواصل علماء الزاب مع علماء من مختلف الأقاليم الإسلامية، مما سمح لهم بتبادل المعارف والخبرات.

نتائج الدراسة:

- أهم العلوم: تفوق علوم الفقه من حيث الإنتاج المعرفي، يليها علوم اللغة والأدب وعلم التاريخ.
- أهم الحواضر: احتلت قلعة بني حماد والمسيلة وبسكرة الصدارة في تكوين وتخرج العلماء.
- أهم المؤلفين: برز العديد من المؤلفين المتميزين، خاصة في مجال الفقه، مثل أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي وأبو علي حسن بن علي المسيلي.

التوصيات:

- ✓ المزيد من الدراسات: تُعد الحاجة ماسة إلى المزيد من الدراسات حول تاريخ العلم في منطقة الزاب، خاصة فيما يتعلق بتخصصات محددة مثل الطب والفلك والرياضيات.
- ✓ الحفاظ على التراث العلمي: من المهم العمل على الحفاظ على التراث العلمي لمنطقة الزاب، من خلال نشر أعمال العلماء القدامى، وترجمتها إلى اللغات الحديثة.

المراجع

(M), M. (n.d.). *Monographie géologique et historique de la tribu des Ziban*. dans le Bulletin de la société Archéologique de Constantine en 1910 T 44 .

Ragot.(m). (n.d.). *Le Sahara de la province du Constantine*. publiè dans le bulletin De la société Archéologique de Constantine en 1875, T16-17.

م1، عالم الكتب :بيروت .نزهة المشتاق في اختراق الآفاق .(1989). الإدريسي

، بيروت: دار الكتب .المسالك والممالك، ت جمال طلبة، ج1، ج2، ط1. (2003). البكري العلمية.

بيروت: م1، ط2، دار صادر .معجم البلدان .(1995). الحموي، ي

بيروت، لبنان،: مج. 1، دار صادر .لسان للعرب .(n.d.). الفضل، ا. م

كتاب العبروديان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن .(1999) .المصطفى، ا. خ
دار إحياء التراث العربي :بيروت، .(ج6، ط1. Vol. 1)عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر

كتاب الجغرافيا، ت: إسماعيل العربي الاستبصار في عجائب الأمصار، .(1970). المغربي...، ا. س
ديوان المطبوعات الجامعية، دار : الجزائر، بغداد .ت: سعد زغلول عبد الحميد،
الشؤون الثقافية العامة،

بيروت: ط1، ج1، دار الغرب .أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، .(n.d.). بوعزيز، ي
الاسلامي

دار النهضة :القاهرة، تاريخ العلم والانسية الجديدة، ت اسماعيل مظهر، .(n.d.). جورج، س
العربية

جامعة تونس .(ج1، Vol. 1)المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي .(1999). حسن، م
الأولى، تونس

الجزائر: ديوان المطبوعات .دراسات في التاريخ الوسيط والغرب الإسلامي .(2008). علاوة، ع
الجامعية

م1، ج1، ط1، العصر الحديث، :بيروت .تاريخ المغرب وحضارته .(1992). مؤنس، ح

المجلد العاشر، دار كتاب الشعب :القاهرة .دائرة المعارف الإسلامية .(1933). وآخرون، أ. ا

الجزائر: المؤسسة الوطنية .العلاقات الخارجية للدولة الرسمية .(1984). يوسف، ج. ع
للكتاب